

الحلقة الثالثة والستون

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

مستمعي الكريم، كثيراً ما نسمع الناس يتحدثون عن الشرائع الإلهية ومدى تعارضها مع الشرائع والقوانين التي تسنها الحكومات. إلى حد أن ذهب البعض إلى رفض القوانين البشرية، والتمسك فقط بالشرعية الإلهية. لا بل دعوا لتطبيق الشرعية الإلهية على المجتمع، أو جعلها الأساس لسن القوانين البشرية. لعلّ السؤال الآن هو: هل تتعارض الشرعية الإلهية مع الشرائع والقوانين التي تسنها الحكومات؟ وماذا يحصل إذا اقتصر ولاء الإنسان لواحدة منهما؟ أي كان ولاءه فقط للشرعية الإلهية أو للشرائع والقوانين البشرية؟ وهل يجوز أن يكون الولاة للثنتين معاً؟

للإجابة عن هذه التساؤلات الهامة، والحديث عن العلاقة بين الشرائع الإلهية والقوانين البشرية، لا بد لنا أن نعود إلى ما تحدّث به المخلص المسيح عن هذا الموضوع الهام. فقد «ذَهَبَ مَرَّةً الْفَرِيسِيُّونَ وَتَشَاوَرُوا لِكَيْ يَصْطَادُوهُ بِكَلِمَةٍ. فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ تَلَامِيذَهُمْ مَعَ الْهِيَرُودُسِيِّينَ قَائِلِينَ: «يَا مُعَلِّمُ، نَعْلَمُ أَنَّكَ صَادِقٌ وَتُعَلِّمُ طَرِيقَ اللَّهِ بِالْحَقِّ، وَلَا تُبَالِي بِأَحَدٍ، لِأَنَّكَ لَا تَنْظُرُ إِلَى وُجُوهِ النَّاسِ. فَقُلْ لَنَا: مَاذَا تَنْظُرُ؟ أَيْجُوزُ أَنْ تُعْطَى جِزِيَّةً لِقَيْصَرَ أَمْ لَا؟» فَعَلِمَ يَسُوعُ خُبْرَهُمْ وَقَالَ: «لِمَاذَا تُجَرِّبُونِي يَا مُرَاوُونَ؟ أَرُونِي مُعَامَلَةَ الْجِزِيَّةِ». فَقَدَّمُوا لَهُ دِينَارًا. فَقَالَ لَهُمْ: «لِمَنْ هَذِهِ الصُّورَةُ وَالْكِتَابَةُ؟» قَالُوا لَهُ: «لِقَيْصَرَ». فَقَالَ لَهُمْ: «أَعْطُوا إِذَا مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ وَمَا لِلَّهِ لِلَّهِ». فَلَمَّا سَمِعُوا تَعَجَّبُوا وَتَرَكَوهُ وَمَضُوا» (بشارة متى ٢٢: ١٥-٢٢). سنتأمل الآن بهذا الحوار الهام الذي جرى بين المخلص المسيح ومجموعة من الفريسيين والهيروديسيين.

لقد كان الفريسيون فئة يهودية متزمتة، تدّعي أنها تطبّق الشرعية الإلهية التي أعطاها الله لكليمه النبي موسى. أما الهيروديسيون فكانوا مجرد جماعة تتبع الملك هيروودس الكبير وخلفاءه، ومن الموالين للإمبراطورية الرومانية. وحاولوا إقناع الشعب بموالاتة هيروودس والرومان، فنظر إليهم نظرة كره واحتقار. وقد خشوا أن يزيد المسيح من عدم الاستقرار، فلا تعود روما تسمح مطلقاً أن يحل أحد من نسل هيروودس في السلطة. وواضح أن المجموعتين كانتا عدوين لدودين، بسبب أن الفريسيين كانوا ضد الحكم الروماني، بينما كان

الهيروودوسيون من الموالين له. وبالرغم من ذلك نجدهما هنا يتحدان ضد المسيح.

كان مطلوباً من اليهود أن يؤدوا الضرائب للسلطة الرومانية الحاكمة. وكان اليهود يكرهون دفعها، لأنها تدعم ظالمهم. ولأن الأموال كانت تذهب مباشرة إلى خزنة قيصر، وللصرف على المعابد الوثنية. كما كانت صورة قيصر تذكر اليهود بخضوعهم لروما. وكان كل من يمتنع عن دفع الجزية يواجه عقوبات قاسية.

لقد أرادت المجموعتان اصطياد المسيح، واثقين أنهم بذلك يضعونه في مأزق. فبعد أن كالوا المديح الظاهري له بقولهم: «يَا مُعَلِّمُ، نَعْلَمُ أَنَّكَ صَادِقٌ وَتَعْلَمُ طَرِيقَ اللَّهِ بِالْحَقِّ، وَلَا تُبَالِي بِأَحَدٍ، لِأَنَّكَ لَا تَنْظُرُ إِلَى وُجُوهِ النَّاسِ. سَأَلُوهُ بِخَبْثٍ قَائِلِينَ: «مَاذَا تَظُنُّ؟ أَيْجُوزُ أَنْ تُعْطَى جِزْيَةً لِقَيْصَرَ أَمْ لَا؟». وهنا كما ذكر الإنجيل المقدس، علم المسيح بخبثهم ومكيدتهم. فلو أجابهم: أنه يجوز أن تُعْطَى الجزية لقيصر، كان معنى ذلك أنه يؤيد السلطة الرومانية، ويقاوم الله الملك الوحيد الذي به يعترف الفريسيون، مما قد يثير الشعب ضده. ولو قال بعدم دفع الجزية، لاتهم بالعصيان والتمرد ضد روما من قبل الهيروودسيين.

أي في كلتي الحالتين سيقع في الفخ. مع العلم أنه لم يكن ما يحرك الفريسيين هو محبتهم لشرائع الله، كما لم يكن ما يحرك الهيروودسيين محبتهم للرومان، بل عداوتهم للمسيح. وهكذا كشفت إجابة المسيح الحكمة دوافعهم الخاطئة الأنانية وأريكتهم. وتحولت محاولة أعدائه لاصطياده إلى درس بليغ لهم. أجابهم المسيح قائلاً: «لِمَاذَا تُجَرِّبُونِي يَا مُرَأُؤُونَ؟ أَرُونِي مُعَامَلَةَ الْجِزْيَةِ». فَقَدَّمُوا لَهُ دِينَارًا. قَالَ لَهُمْ: «لِمَنْ هَذِهِ الصُّورَةُ وَالْكَتَابَةُ؟» قَالُوا لَهُ: «لِقَيْصَرَ». فَقَالَ لَهُمْ: «أَعْطُوا إِذَا مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ وَمَا لِلَّهِ لِلَّهِ». أي أن العملة التي تحمل صورة الامبراطور يجب أن تُعْطَى له. وكل ما يختص بالله يجب أن يُعْطَى له أيضاً.

صديقي المستمع، لقد أفحم المسيح أولئك الذين أرادوا الإيقاع به، فإذا بهم يعودون أدراجهم متعجبين من إجابته. أجل هذا هو الدرس الذي علّمنا إياه المسيح: «أَعْطُوا إِذَا مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ وَمَا لِلَّهِ لِلَّهِ». فماذا يعني هذا الدرس؟ وكيف نطبّقه نحن اليوم في مجتمعاتنا؟ إن هذا يؤكد أن على الإنسان التزامات تجاه القوانين البشرية وتجاه الله في آن واحد. فلا نستطيع تجاهل القوانين التي تسنّها الحكومات. إن هدف الحكومة هو تنظيم المجتمع وسنّ الشرائع والقوانين التي تحفظ أمنه وسلامته، وتسعى لتأمين احتياجاته المختلفة ولا سيّما من النواحي الاقتصادية والقضائية والتعليمية. إن معظم القوانين والشرائع البشرية تهدف لخير الإنسان وتقديم المجتمع. وقد سمح الله بوجود الحكومات لكي تحفظ النظام في المجتمع. ولذا علينا كمواطنين أن نخضع للقوانين البشرية ونطيعها

وننفذها. لأنه إذا عصيناها وتمردنا عليها لعمت الفوضى في المجتمع. لهذا قال المسيح: «أَعْطُوا إِذَا مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ».

لكن في المقابل علينا التزامات تجاه الله خالقنا، الذي أعلن لنا خلاصه وأرسل المخلص المسيح لكي يتم هذا الخلاص، عن طريق عمل الفداء على الصليب، وقيامته المجيدة من بين الأموات. ولهذا نستطيع القول أن المؤمن المسيحي له انتماء مزدوج، فهو ينتمي للوطن، وفي نفس الوقت ينتمي إلى ملكوت الله.

هذا هو الحل الذي وضعه المخلص المسيح. فهل أنت صديقي تخضع للقوانين وتطيعها؟ وهل تعطي الله حقه في حياتك؟ فتتجاوب مع دعوة الخلاص الذي هيأه الله لك؟ وهل آمنت بالمخلص المسيح وتحررت من خطاياك وأصبحت عضواً في ملكوت الله؟ ولننتذكر دائماً القاعدة التي وضعها المسيح: أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله.